

فاقصُص القصص لعلَّهم يتذكَّرون
وأنا أغتتمها ...

المصلحة العموميَّة فوق المحزازات المشخصيَّة (1)

رجل عظيم له أثر جليل في فتح الجزائر (المغرب الأوسط)، فهو أوَّل من وطئت معه خيول الإسلام هذه الأرض، ولكنَّه مغمور في التاريخ، لا يجري ذكره على الألسنة، ولما تُعنى بتفصيل حياته الكُتب، ذلك هو أبو المهاجر دينار مولى مسلمة ابن مُخلد الأنصاري رحمه الله.

استعمله مولاه مسلمة ابن مخلد والي مصر من قبل معاوية — على فتح إفريقية — وعزل عُقبة بن ذافع عنها، كان المغرب الأدنى قد تم فتحه فوجه أبو المهاجر هم إلى فتح المغرب الأوسط، بعد أن تولى الأمر من يد عُقبة وأساء عزله ولكنَّه خلاه حُرًا طليقا.

كان كُسيلا من ملوك الأمازيغ بالمغرب الأوسط قد جمع جُموعا كثيرة وزحف بها لقتال المسلمين فكانت بينه وبين أبي المهاجر معارك انتهت بانتصار المسلمين وانهزام كُسيلا وجُموعه وظفر أبي المهاجر به.

أسلم كُسيلا فاستبقاه أبو المهاجر وقربَّه، وانتهى أبو المهاجر من غزوه إلى تلمسان وقفل راجعا إلى القيروان العاصمة الإسلاميَّة التي كان أسسها عُقبة، فبنى مدينة أخرى قُربها نقل إليها مركز الجيش والإمارة، فصارت القيروان في حُكم الخربة.

أفضت الخلافة إلى يزيد بن معاوية فأعاد عُقبة إلى إمارة إفريقية فقدمها سنة 62 للهجرة فتناول الإمارة من يد أبي المهاجر وعزله وزاد فاعتقله ونكب صاحبه كُسيلا الذي كان اعتصم بالإسلام ورجع مركز الجيش والإمارة إلى القيروان.

سار عُقبة في جيشه في المغرب الأوسط وكانت له فيه حُرُوب، إذ لم تكن غزوة أبي المهاجر إلا تمهيدا للفتح، ثم توجَّه إلى المغرب الأقصى حتى انتهى إلى المحيط الأطلانطيقي، ولم يكن هذا الفتح السريع المدهش قد استأصل قُوَّة جُموع الوطن أيضا، فزي عاد عُقبة إلى القيروان من هذا الفتح هبطت إليه كاهنة جبل أوراس في جُموع كثيرة وهو في قلة من أصحابه فكانت الواقعة المكُبرى التي استشهد فيها عُقبة وصحبه وقال فيها أبو المهاجر كلمته الكبيرة الخالدة التي جعلناها دُوانا لهذه القصة.

كان عُقبة في فتُوحة مُستصحا معا أبا المهاجر وصاحبه كُسيلا مُعتقلين، وكان يُذيق كُسيلا أنواع الإهانة والإذلال وكان أبو المهاجر يحذره عاقبة تلك المُعاملة المُخالفة لما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مُعاملته للأسرى ولعُظماء الناس.

□ □ راجع << تاريخ الجزائر في التقديم والحديث >> للأستاذ الميلي. [2]